



النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد 1997/45

الأحد 9 تشرين الثاني

القديسين الشهيدين

أونيسيفوروس وبورفيروس

و البارة مطرونة والبار نكتاريوس

اللحن الرابع

إنجيل السحر العاشر

الرسالة (غلاطية 2 : 16 - 20)

الإنجيل (لوقا 8 : 41 - 56)

العبادة المسيحية

”الله روح، والذين يسجدون له فالبروح والحق ينبغي ان يسجدوا“ (يوحنا 4:24).

يقول أحد اللاهوتيين المعاصرين ان الأرثوذكسية تعتبر ”الإنسان مخلوقاً ليتورجياً قبل كل شيء يحقق وجوده حينما يجد كماله وارتياحه في العبادة. وقد وضع الأرثوذكسيون كل خبرتهم الدينية في الليتورجيا التي تعبّر عن إيمانهم. فالليتورجيا هي التي أوحى لهم بأجمل ما كتبوا من شعر وفن وموسيقى والليتورجيا لم تصبح قط - كما كادت ان تكون في العصور الوسطى في البلدان الغربية - حكرًا على المنقّفين ورجال الدين ، بل ظلت شعبية على الدوام وملكاً للشعب المسيحي كله“.

تختصر هذه الكلمات سر العبادة في الكنيسة الأرثوذكسية حيث سافر الإنسان بواسطة الليتورجيا ليلتقي خالقه ومخلصه ويحيا الأحداث الخلاصية من جديد. الليتورجيا كما يقول القديس كبريانوس القرطاجي تتفق مع العقيدة، كما تتفق العقيدة مع الليتورجيا.

لقد وعت الكنيسة الشرقية أنها قبل كل شيء كنيسة صاحبة على الدوام، تصلي امام الله وتحفل بالأسرار المقدسة، الأسرار التي أنشأها ابنه الوحيد، وذلك عبر طقوس وخدم وضعها الآباء القدماء بالإيمان ووصلت إلينا بالتسليم.

العبادة والطقوس هي قلب الكنيسة الشرقية النابض. عبر الليتورجيا حفظت الكنيسة على إيمانها القويم على مدى عشرين قرناً وما زالت. رغم ما مرت به من سنوات اضطهاد وضغط وحرمان بقيت صامدة لأنها بقيت تصلي الى الله عبر العبادة والصلوات، عبر ليتورجيتها المقدسة. لا يستطيع أحد ان يمنعها عن الصلاة. هذا ما حفظ الكنيسة في روسيا خلال الحكم الإلحادي، وهذا ما سيحفظها في المستقبل لأنها بمقدار ما تلتصق بالرب يسوع "قوات الجحيم لن تقوى عليها" (متى 16 : 18).

لعل قصة اهتداء القديس فلاديمير الأمير والقديسة أولغا ومعهما الشعب الروسي في كييف الى المسيحية منذ أكثر من ألف عام تظهر بشكل جلي وواضح أهمية الليتورجيا والعبادة في تنصرهم. لقد جاء في ما يسمى "تاريخ نسطور" "Chronicle of Nestor" للعام 1987 ان البلغار (مسلمي الفولغا) والجرمان (اللاتين) واليهود واليونانيين (المشرقيين) حاولوا جميعهم إقناع الأمير فلاديمير والشعب الروسي بتبني ديانتهم. اجتمع الأمير مع أعيان بلاده الذين نصحوه قائلين: "كما تعرف، أيها الأمير، لا أحد يقبح ما عنده بل يمدحه دوماً. فإذا كنت تريد اليقين فخدمك بتصرفك، أرسلهم لمعرفة طقوس كل منهم وكيف يعبدون الله". لم يطلب هؤلاء معرفة العقيدة بل الليتورجيا، العبادة.

أرسل الأمير مبعوثيه الى تلك البلدان ولما عادوا أبدوا ملاحظاتهم وأعلنوا تأثرهم بما شاهدوه في القسطنطينية والذي يختلف عما هو موجود في الأمكنة الأخرى. فقد هيا لهم البطريرك، بإيعاز من الإمبراطور، ان يحضروا القديس الإلهي في كنيسة الحكمة الإلهية "لكي ما يرى الروس مجد إله اليونان". وخدم البطريرك القديس مع باقي الكهنة حسب عاداتهم وعابن الروس جمال صرح الكنيسة والترتيل والخدم الحبرية وخدمة الشماسة بينما كان الإمبراطور يشرح لهم ما يجري. ويبدو ان هؤلاء وجدوا ضالتهم في القسطنطينية، فلما عادوا الى الأمير قالوا له: "ثم أخذنا اليونان الى الصرح حيث يعبدون إلههم ولم نكن ندري أكناف في السماء أم على الأرض لا توجد مثل هذه العظمة او هذا الجمال، وليس بمقدورنا وصف ما رأيناه. كل ما نستطيع قوله هو ان الله كان هناك بين البشر، وأن خدمتهم تفوق كل ما رأيناه. لا يمكننا قط ان ننسى ذلك الجمال".

لقد جاء تعبير هؤلاء الموفدين الروس عظيماً: ”لم تكن ندري أننا في السماء أم على الأرض“، لأن الليتورجيا هي فعلاً السماء على الأرض ، لأنها تجعل الله الثالث حاضراً بيننا ونحن نسبح بتسبيح الملائكة، والملائكة تخدم معنا كما نرتل في قداس القدسات السابق تقديسها: ”الآن قوات السموات يخدمون معنا بحال غير منظور...“

لقد أدرك الآباء القديسون جمال العالم الروحي وعبروا عنه في عبادتهم وطقوسهم وصلواتهم أي في ليتورجيتهم. نحن اليوم نسعى لأن نحيا هذه العبادة لكي نتذوق الجمال الروحي ونصل الى الاتحاد بالألوهة.

سوف نسعى في الأعداد المقبلة ان نوضح سر العبادة ونغوص في كنهه لكي نفهم حقيقة الليتورجيا وعندها نستطيع فعلاً ان نعيشها فتوصلنا الى الهدف المرجو.

يتبع

* صوم الميلاد

في الخامس عشر من شهر تشرين الثاني الجاري يبدأ صوم الميلاد المقدس. يدوم هذا الصوم أربعين يوماً وينتهي في الخامس والعشرين من شهر كانون الأول.

ما هو هذا الصوم؟ وكيف نمارسه؟

أولاً: لا بد من التذكير بأن كلمة صوم تعني عدم الأكل والشرب وزمن الصوم هو فترة تزداد فيها الصلوات لحثّ المؤمن على التوبة والتقنية الداخلية من أجل تجديد حياته الروحية. كذلك اتخذ الصوم بعداً آخر أخروياً لجعل المؤمن يستعد للقاء المسيح الرب الآتي لخلصه. هذه المعاني مجتمعة اذا ما أردنا ربطها لفترة التهيئة لعيد الميلاد تجعلنا نفهم بوضوح بأن عدم أكلنا أنواعاً معينة من المأكولات ومتابعتنا الصلوات الكنسية الطقسية التي تطلب من جعل داخلنا مذوداً آخر ليولد المسيح فيه روحياً - وفعلياً - وهذا لا يتحقق الا اذا كان كل منا يسعى بصدق ان يهيب نفسه كما يليق لاستقبال الإله المتجسد - يؤديان بنا الى اتحاد كياني بين الله والبشر فنقول عندئذ بأن المسيح إلهنا هو ”عمانويل الذي تفسيره الله معنا“ (متى 1: 23) لأنه ”حل بيننا“ (يو 1: 14).

أما كيف نمارس الصوم الميلاد فنحن نعرف انه يدوم أربعين يوماً ونقطع خلاله عن أكل اللحم والدجاج واللبن والبيض والحليب ومشتقاتها وتسمح الكنيسة بأكل السمك خلاله ما عدا يومي الأربعاء والجمعة. ويلاحظ المؤمن بعض أوجه الشبه بين هذا الصوم والصوم الكبير الفصحي إذ ان هذين الصومين يعدّاننا لاستقبال المسيح أولاً مولوداً وثانياً قائماً من بين الأموات. كذلك مدة الصومين نوعاً ما متقاربة فصوم الميلاد يدوم أربعين يوماً أما صوم

الفصح فتسعة وأربعين يوماً ولذلك يُعرف بالصوم الكبير . باليونانية يدعى الأول الصوم الأربعيني والثاني الصوم الأربعيني الكبير . ولهذا نقرأ في كتاب السواعي الكبير تعييدنا الميلاد بأنه ”فصح“ والمقصود ان ميلاد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح إنما هو فصح آخر عبره المؤمن واتحد بإلهه المولود جديداً ليخلص. من هنا نعي أهمية هذا الصوم وما تعلمنا اياه الكنيسة لأن كل هذا يؤول لخلصنا نحن ومن ”له أذنان للسمع فليسمع“ (متى 11: 15) ”إنه وقت عمل الرب“ (مز 119: 126) ”فطوبى لذلك العبد الذي اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا“ (لو 12: 43) ، آمين.